٥١

مجريات أُحـــد

* نسيبة بنت كعب . البطلة أم الأبطال..
* الزبير. حوارى الرسول.
* أبو دجانة . آخذ السيف بحقه.
* على بن أبى طالب . أخلاق الفروسية.
* الرماة وسفح الجبل.

* * *

«المدينة وقد خلت من صفوة الرجال الذين خرجوا إلى أحد ليصدوا قريشًا وأحلافها عن دار الهجـرة ـ الباقون بالمدينة يتسقطون الأخبار، ينهشهم القلق وقد تواترت الأنباء أن قريشًا فى عدة كبيرة.. يتزايد القلق، وتثور المخاوف وتشتد بعد رجوع عبد الله بن أبىّ بمن انخذلوا معه من المنافقين وعادوا إلى المدينة!!».

«نسيبة بنت كعب بدارها، تتنازعها المخاوف على النبى – عليه السلام – والذين معه.. ترى ماذا هم فاعلون بقلة عددهم وعتادهم أمام قريش التى جاءت وحلفاؤها بأعداد غفيرة وخيل كثيرة.. جاءوا للشر بقضهم وقضيضهم.. تقول نسيبة لنفسها وقد تزايد قلقها على المسلميـن: «هل يليق بك يا نسيبة أن تقبعى ها هنا بدارك والنبى – عليه السلام – يتعرض والمسلمون لأهول الأخطار؟!!».. أجل، لقد خرج زوجها زيد بن عاصم وولداها حبيب وعبد الله ابنا زيد مع النبى والمسلمين.. ولكـن أتظل هـى قعيدة بدارها؟! لقد حاولت أن تخرج مع زوجها وولديها فمنعوها.. يقر عزمها على اللحاق بهم فتبدأ بتجهيز نفسها للخروج.. يدخل عليها شيخ طاعن من ذوى قرباها».

الشيخ القريب : إلى أين العزم؟

نسيبة بنت كعب : ألحق بالرسول والذين معه! أيتعرضون لما يتعرضون له وأنا قاعدة ها هنا فـى بيتى؟!

الشيخ : ما للنساء والخروج للقتال؟!

نسيبة : أما بلغك خروج نساء قريش؟!

الشيخ : قد خرجوا بالدفاف والطبول يثرن الموتورين فى بدر! - (مستأنفًا) إن للحرب لعضّة!! ما جُعل الجهاد للنساء!

نسيبة : أنسيت أننى كنت مع عشرات الرجال نبايع النبى بالعقبة؟!

الشيخ : (يضحك مداعبًا) لا والله يانسيبة.. ما نسيت ولا أُنسيت.. ولكن مالك والقتال؟

نسيبة : أسقى المجاهدين بالماء.. وأمدهم بما يحتاجون.

القريب : فإن هاجمك أحد؟!

نسيبة : أقاتل بسيفى..

«تلملم نسيبة زادها وراحلتها، وتسارع بالخروج لتلحق بالرسول - عليه السلام - والمسلمين.. تخرج من الدار فى جوف الليل متسترة بالظلام إلى حيث المكان الذى بلغها أن المسلمين عسكروا به فى سفوح جنوب أُحُد!».

* * *

«بحى من أحياء المدينة.. قزمان.. واحدٌ من المنافقين الذين تخلفوا عن النبى والمسلمين.. تلم به نساء بنى ظَفَر معايرات.. يؤنبنه على قعوده وتخلفه عن الخروج..»

إحداهن : يا قُزمان، قد خرج الرجال وبقيت!

أخرى : ألا تستحى يا قُزمان ما صنعت!

الأولى : (مداعبة فى استهزاء) ما أنت إلا امرأة! خرج قومك فبقيت فى الدار!

«قُزمان محتبس الصوت والأنفاس.. لا يجد ما يرد به على النسوة.. تدميه عبارات استهزاء وسخرية النساء، وتثير حفيظته ويغضب لكرامته – تأخذ الثورة بخناقه، فيندفع إلى بيته.. يخرج قوسه وجعبته وسيفه.. ليلحق بعسكر المسلمين.. يريد أن يثبت لنفسه وللناس أنه لا يخاف ولا يجزع، وأنه رجل الشدائد.. يخوض الغمار ولا يخاف..».

* * *

«عسكر المشركين.. بينهم أبو عامر عبد عمرو الفاسق.. كان قد منى قريشًا حين لحق بهم فى الطريق وانضم إليهم – أن قومه من الأوس سوف ينضمون إليهم إذا رأوه معهم.. يمنى قريشًا الأمانى بأنه صاحب باع وكلمة مسموعة فى قومه الأوس.. يخرج من بين صفوف المشركين فيمن معه مزهوًا معجبًا بنفسه، ينادى على من بعسكر المسلمين من الأوس..».

أبو عامر الفاسق : يا آل أوس.. يا معشر الأوس..

بعض الأوس : (من بعيد) من الرجل؟

أبو عامر : أنا أبو عامر عبد عمرو

الأوس : (مستهزئين) لا مرحبًا بك ولا أهلا يا فاسق!! لا أنعم الله بك عينا يا فاسق!!

«تنطلق عبارات تقريعه كالسهام.. أبو عامر الفاسق يرتد جافلا.. لا يكاد يصدق ما يسمع من فرط المفاجأة.. يتضاحك بعض القرشيين لامزين هازئين بما جرى له بعد أن حدثهم عن شأنه ومكانته بقومه فأكثر الحديث!!

أبو عامر : (للقرشيين وهو قافل إليهم) لقد أصاب قومى بعدى شرّ!!

«يبدأ الفريقان فيتراضخان بالحجارة.. يتقاذفون ما تصل إليه أيديهم من أحجار.. بينما نساء قريش وأحلافها يضربن بالأكْبار (الطبول) والدّفاف والغرابيل (الدفوف).. يحرضن الرجال ويذكرنهم بقتلاهم ببدر!!».

«هند بنت عتبة تقود تحريض النسوة للرجال، تنشد وهن يرددن وراءها..».

هند بنت عتبة : (تنشد)

إنْ تُقبلوا نعانقْ ونفرش النمارقْ
أو تدبروا نفارقْ فِراقَ غَيْرِ وامقْ

«نساء قريش يرددن من خلفها..»

هند : (تستأنف الإنشاد)

ويْهًا بنى عبد الدَّار ويْهًا حماةَ الأدْبار
ضربا بكل بتار

* * *

«الترقب على أشده بين المعسكرين.. قريش وأحلافها يختالون متباهين مدفوعين برغبة

الانتقام، والمسلمون يرابطون انتظارًا لأمر الرسول ﷺ بالإذن لهم برد العدوان والدفاع عن المدينة التى هاجروا إليها فأبى الطواغيت إلا أن يلاحقوهم بشرورهم وأذاهم وعدوانهم..».

«عسكر قريش، يخرج منه رجل بادى البأس والشدة.. الرجل متدرع بدرعه، ممسك بسيفه، راكب بعيره.. يسير متبخترًا مختالاً ينادى فى المسلمين طالبا البراز..».

الزبير بن العوام : (وهو يمتشق سيفه) أنا له يا رسول الله..

«ينطلق الزبير فيثب وثبة هائلة حتى استوى مع الرجل على ذات البعير.. المسلمون يرقبون النزال فى إشفاق..».

النبى : (لصحابته) الذى يلى حضيض الأرض مقتول!

«البراز محتدم.. جولة فأخرى، فإذا بالمشرك وقد وقع من على البعير، يهلل المسلمون ويكبرون والزبير عائد وقد انقشع النزال عن نصر مبين..».

النبى : (وهو ينظر إلى الزبير راضيًا مغتبطًا) إن لكل نبى حواريًا، وإن حوارىّ الزبير..

«الزبير تملؤه الغبطة بما أسبغه عليه الرسول عليه السلام..».

* * *

«أبوسفيان لا يستطيع أن يغالب قلقه رغم كثرة قريش وأحلافها فى العدد والخيل والعتاد.. يريد

أن يفض الأنصار من حول النبى ﷺ.. يخرج من بين الصفوف ينادى على المسلمين..».

أبوسفيان : (مناديًا) يامعشر الأوس والخزرج..

بعض الأنصار : ما تريد؟!

أبوسفيان : يامعشر الأوس والخزرج.. خلوا بيننا وبين ابن عمنا ننصرف عنكم! فإنه لا حاجة لنا بغنامكم!

الأنصار : قبحك الله، وقبح ما تقول.. ستعلم أى منقلب تنقلبون..

«أبو سفيان يرتد إلى صفوفه مخزيًا!!».

* * *

«عسكر المسلمين، صليل السيوف وقعقعات الدروع تنذر بقرب بدء القتال.. يلحق «قزمان» بآخر صفوف المسلمين.. يشق الصفوف حتى يصل إلى المقدمة.. يلتفت البعض متعجبين من قدومه المفاجئ متشحًا بسلاحه.. يرتاحون لانضمامه إليهم بما عرف عنه من شجاعة وبسالة.. وبينما قزمان يجهز سهامه، تظهر نسيبة بنت كعب وقد حف بها زوجها زيد بن عاصم وولداها حبيب وعبد الله..».

أحد المسلمين : (منبريًا) أما كفاك يا نسيبة خروج زوجك وولديك حتى تخرجى بنفسك؟!

نسيبة بنت كعب : ما كنت لأبقى قعيدة بالدار والمسلمون يقاتلون!

«النبى ﷺ ينظر إلى نسيبة وزوجها وولديها وقد التفوا حولها..».

النبى : (لنسيبة وذويها راضيًا حانيًا) رحمكم الله أهل بيت.. بارك الله فيكم أهل بيت!

نسيبة : ادع الله لنا يا رسول الله أن نكون معك فى الجنة..

النبى : اللهم اجعلهم رفقائى فى الجنة..

«تتصاعد تكبيرات المسلمين..»

نسيبة : (قريرة راضية) والله لا أبالى ما يصيبنى من أمر الدنيا بعد ذلك..

«تبادر نسيبة بحمل قربة ماء لتكون بها فى سقاية وإرواء المسلمين.. يراقبها الرسول عليه السلام راضيًا قريرًا».

* * *

«النبى ﷺ يطوف بين المسلمين يلهج بالدعاء: اللهم بك أجول، وبك أصول، حسبى الله ونعم الوكيل.. يتناول عليه السلام سيفًا بتارًا شديد البأس فيرفعه للمسلمين وينادى فيهم..».

النبى : (مناديًا) من يأخذ هذا السيف بحقه؟

«يتسابق إليه المسلمون وفيهم الزبير بن العوام.. يبسطون أيديهم إلى النبى عليه السلام.. كل يريد أن يختاره صاحب العزم الأكبر، ولكنه ﷺ يمسك يده عدة مرات.. أعرض فيما أعرض عن عمر والزبير..».

النبى : (يكرر مناديًا) من يأخذ السيف بحقه؟!

«يقوم إليه أبو دجانة سماك بن خَرشة أخو بنى ساعدة..».

أبو دجانة : (للنبى) وما حقه يا رسول الله؟

النبى : أن تضرب به العدو حتى ينحنى.. (يستأنف) حقه ألا تقتل به مسلمًا، وألا تفرّ به عن كافر!

أبو دجانة : أنا آخذه يا رسول الله بحقه..

النبى : لعلك إن أعطيتكه تقاتل به فى الكَيول (آخر الصفوف)!!

أبو دجانة : بل أقاتل به بحقه.. فداك أبى وأمى يا رسول الله!

«النبى – عليه السلام – يدفع إليه السيف.. يمضى به أبو دجانة مختالاً.. يخرج عصابة حمراء فيعصب بها رأسه.. أبو دجانة يمشى مختالاً يتبختر بين الصفوف..».

النبى : (ناظرًا إلى أبى دجانة) إنها لمشية يبغضها الله إلا فى مثل هذا الموطن!!

* * *

«النبى ﷺ يطوف بالمسلمين مشجعًا ومثبتًا.. يخرج من بين الصفوف عبد الله بن جحش، يدنو من الرسول عليه السلام».

عبد الله بن جحش : يا رسول الله، إن هؤلاء القوم قد نزلوا بحيث ترى، فقد سألت الله فقلت..

أحد الصحابة : ماذا قلت؟

عبد الله بن جحش : قلت: اللهم أقسم عليك أن نلقى العدو غدًا فيقتلونى ويبقروا بطنى ويمثلوا بى.. فتقول لى يا رباه: فيم صنع بك هذا؟

فأقول: فيك يا الله.. (يستأنف) وأنا أسألك يا رسول الله أخرى..

النبى : (حانيًا) وما ذاك؟

عبد الله بن جحش : أن تلى تركتى من بعدى.

النبى : نعم..

«النبى ﷺ يطمئنه ويشد من أزره ويدعو له..».

* * *

«الجو فى الباحة أمام أحُد ملىء بالترقب، والعسكران يقفان متقابلين.. يخرج من بين صفوف المشركين صاحب لوائهم طلحة بن أبى طلحة.. ممتشقًا سيفه، متقيًا بدرعـــه.. ينادى المسلمين فى تيه وخيلاء!!».

طلحة بن أبى طلحة : (مناديًا) إنكم تزعمون أن الله يعجلنا بسيوفكم إلى النار، ويعجلكم بسيوفنا إلى الجنة.. فهل منكم أحد يعجله الله بسيفى إلى الجنة.. (يستأنف مستهزئًا) أو يعجلنى بسيفه إلى النار!!

«المشركون يتضاحكون مستهزئين!!»

* * *

«عسكر المسلمين، يقف على بن أبى طالب شامخًا كالطود.. ربعة، آدم، عظيم العينين، أدعج (شديد سواد العين).. عريض ما بين المنكبين، ضخم عضلات العضد والساعد، غليظ الكفين، مكين البنيان.. يتقدم صفوف المسلمين،

ينادى طلحـة بن أبى طلحـة وهو يطير إليه بسيفه..».

علىّ بن أبى طالب : (لطلحة) والذى نفسى بيده لا أفارقك حتى أعجلك بسيفى إلى النار، أو تعجلنى بسيفك إلى الجنة..

«علىّ يتقى بدرعه ضربة من طلحة.. ثم يحمل على طلحة حملة هائلة، فيصيبه بضربة دامية فى رجله ألحقها بأخرى على هامته.. يسقط طلحة على أثرها حتى انكشفت سوأته..».

طلحة : (متوسلاً لعلى ألا يجهز عليه) أنشدك الله والرحم يا ابن عم!

«على بن أبى طالب يعرض عن قتله، تستقبله فى عودته تكبيرات المسلمين وتساؤلاتهم أيضًا.. لماذا لم يجهز عليه؟!».

أحد المسلمين : (لعلى) ألا ذفَّفتَ عليه؟!

آخر : ما منعك من أن تجهز عليه؟!

علىّ : إن ابن عمى ناشدنى حين انكشفت عورته فاستحييت منه.. عطفنى عليه الرحم حين ناشدنى بالله والرحم أن أبقى عليه!

«المسلمون يهللون ويكبرون..»

* * *

«ما إن هدأ غبار المبارزة، حتى شنت قريش وأحلافها هجومهم... النبى - عليه السلام - إلى جوار اللواء.. يحمله مصعب بن عمير..

ينظر النبى ﷺ فيرى خالد بن الوليد على ميمنة فرسان المشركين، وعكرمة بن أبى جهل يساره.. ينادى عليه السلام الزبير بن العوام..».

الزبير بن العوام : لبيك يا رسول الله، فداك أبى وأمى.

النبى : استقبل خالد بن الوليد، فكن بإزائه حتى أوذنك.

الزبير : أفعل إن شاء الله..

«يطير الزبير إلى حيث أمره الرسول.. بينما النبى ﷺ ينادى على آخرين فيكل إليهم أن يكونوا فى الجانب الآخر لا يبرحونه.. ثم يخصص ناسًا من الناس، ليكونوا من ورائهم..».

النبى : (موصيًا وهو يحدد لهم مكان وقوفهم) كونوا ها هنا.. فردوا وجه من يفر منا، وكونوا حراسًا لنا من قبل ظهورنا..

«النبى ﷺ ومن حوله علىّ وحمزة وطلحة ابن عبد الله وأنس بن النضر وسعد بن الربيع، يرسل عليه السلام إلى الرماة فى سفح أحد.. يؤكد عليهم ما أوصاهم به، أن يلزموا مكانهم وأن يبادروا خيول قريش بسهامهم ونبالهم، فإن الخيل لا تقدم على النبل.. يؤكد عليهم أن يلزموا مكانهم لا يبرحونه مهما كانت الأسباب..».

* * *

«المسلمون يصدون هجمة قريش الأولى.. ثم يكرون مهاجمين.. يبلون بلاءً شديدًا أشاع الذعر والفوضى فى عسكر المشركين.. الزبير بن

العوام يكر على فرسانهم فى هجمة هائلة بينما تنضحهم نبال الرماة، فترجع الخيول مفلولة.. لا يقع من خيل المشركين فرس أو رجل إلا ولى هاربًا.. يصول علىّ وحمزة وطلحة ويجولون.. يفر المشركون من أمامهم.. يسقط لواء قريش من عثمان بن أبى طلحة الذى حمله بعد سقوط أخيه طلحة.. على بن أبى طالب ينذر نفسه للإجهاز على أصحاب ألوية قريش ليفت فى عضدهم.. سعد بن أبى وقاص يطلق نباله وسهامه فى وجوه المشركين.. حملة ألوية قريش يتساقطون تباعًا، ينكشف المشركـون منهزمين لا يلوون.. كلما حاول خالد بن الوليد بفرسانه أن يأتى من قبل السفح يرده الرماة.. الزبير بن العوام لا يحول حمى الوطيس وشدة بأس القتال بينه وبين أن يرقب فى إعجاب شجاعة وبسالة أبى دجانة.. يراه يفعل الأعاجيب بالسيف الذى أعطاه الرسول ﷺ.. كان الزبير قد وجد فى نفسه حين منع النبى السيف عنه وأعطاه أبا دجانة.. ولكنه يرى الآن من أبى دجانة ما يعجبه ويرضيه.. لا يمر أبو دجانة بشىء إلا أفراه وفتكه.. يفلق بسيف الرسول هامات المشركين.. يشحذه فى وطيس القتال بالحجارة، ويضرب به كأنه المنجل.. يطير بسيفه إلى مشرك أعمل القتل فى المسلمين، فما هى إلا جولة اتقى فيها ضربته بالدرقة ثم أجهز عليه.. الزبير يرقب أبا دجانة

فى إعجاب.. يراه قد حمل بالسيف على مفرق رأس هند بنت عتبة زوج أبى سفيان.. ولكنه يعدل بالسيف عنها!!».

الزبير : (لأبى دجانة) كل سعيك رأيته فأعجبنى غير أنك لم تقتل هذه المرأة!

أبودجانة : إنها نادت: يا لصخر! فلم يجبها أحد.. ولولت، فكرهت أن أضرب امرأة بسيف رسول الله!

«سعد بن أبى وقاص آخذ فى الرمى بالسهام والنبال.. النبى ﷺ يؤازره ويناوله..».

النبى : (لسعد بن أبى وقاص) ارم فداك أبى وأمى!!

«مصعب بن عمير حامل لواء المسلمين يصاب إصابة قاتلة.. يطير إليه النبى ﷺ فيتناول اللواء قبل أن يسقط ويسلمه إلى علىّ بن أبى طالب».

«حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله.. يصول ويجول.. يفر المشركون من أمامه كالجرذان.. أينما يذهب يحل المنون بهم.. أجهز على «أرطاة بن عبد»، وعلى «سباع بن عبد العزى» ابن أم أنمار خاتنة مكة.. غير بعيد «وحشى».. يراقب ولا يرفع عينيه عن حمزة، يريد أن يصيبه حتى يعتقه سيده..».

«أحد المشركين مقنعًا بالحديد يشن هجومًا.. وهو يقول مختالاً..»

المقنع : أنا ابن عويف.

«يتلقاه رشيد الأنصارى الفارسى فيضربه على عاتقه ضربة نجلاء قطعت الدرع..».

رشيد الأنصارى الفارسى : (وهو يضرب) خذها وأنا الغلام الفارسى..

النبى : (وقد انتبه إليه) ألا قلت خذها وأنا الغلام الأنصارى؟!

رشيد : (وهو يجهز على غريمه) خذها وأنا الغلام الأنصارى..

النبى : (متبسمًا) أحسنت يا أبا عبد الله.

«يحمى الوطيس ويشتد البأس.. المسلمون يقاتلون فى بسالة أذهبت المشركين أشتاتًا.. حتى «قزمان».. أخذه وطيس القتال فصنع بدوره الأعاجيب.. المهاجرون والأنصار يبلون أحسن البلاء، حتى أجهدوا قريشًا وحلفاءها فذهبت ريحهم وشاعت الهزيمة فى صفوفهم وقلوبهم، يولون الأدبار، ونفوسهم تحدثهم بأن مأساة بدر تكرر نفسها!!».

«حناجر المسلمين تنطلق..«أمت.. أمت»، والمشركـــون يتنادون: «يا للعـزى.. يا لهبل..».

«المسلمون يحسون أن الله تعالى قد صدقهم وعده.. يفر المشركون أمامهم، بينما الرماة على سفوح أحُد يرقبون تبعثر عسكر المشركين وجلاء علامات وآيات النصر.. تحدثهم نفوسهم: لم نقيم ها هنا فى غير شىء؟! ألا نجتاح مع إخواننا عسكر المشركين؟!».

بعض الرماة : (مستنكرين) ألم يوصنا الرسول: احموا ظهورنا فلا تبرحوا مكانكم، وإن رأيتمونا نقتل فلا تنصرونا، وإن رأيتمونا غنمنا فلا تشاركونا.. احموا ظهورنا..

آخرون : (معترضين) لم يرد الرسول هذا.. قد أذل الله المشركين وهزمهم.. فما بقاؤنا؟!

«يتدخل أمير الرماة: عبد الله بن جبير معلمًا بثيابه البيضاء..».

عبد الله بن جبير : (للرماة معاتبًا) أطيعوا الله وأطيعوا الرسول، ولا تخالفوا لرسول الله أمرًا!

الحارث بن أنس بن رافع : (مؤنبًا) يا قوم، اذكروا عهد نبيكم إليكم، وأطيعوا أميركم!

«معظم الرماة وقد غمرتهم أشواق اللحاق بما يجرى تحت أعينهم.. يتركون أميرهم عبد الله ابن جبير فى رهط قليل، وينطلقون إلى عسكر المشركين المنهزمين.. مالوا، فمالت رياح المعركة.. وبدأت المقادير تؤذن بتحول خطير!!!»

* * *